الآداب
المجلد:21، العــدد:01، ديسمبر 2021
الصفحات:148 - 163

# موضوعة البيئة وقيمها في قصص لينا الكيلاني الطفلية / قصة "النحلة نولة" أنموذجا

# The Topic of Environment and its Values in the Child Stories of Lina Al-Kilani: The Case of the 'Nola Bee' Story

**د. عزالدين جلاوجي**

جامعة محمد البشير الإبراهيمي- برج بوعريريج –الجزائر، azzedine.djellaoudji@univ-bba.dz

**تاريخ الإرسال:** 2020/12/22 **تاريخ القبول:** 2021/04/01 **تاريخ النشر:** 2021/12/15

**ملخص:**

شكلت البيئة هاجسا لأدب الطفل شعرا ونثرا في كل الآداب، وهو ما نراه واضحا في الأدب العربي الذي خاطب الطفل، وفي كتابات لينا الكيلاني الطفلية على وجه الخصوص، وهو ما تسعى هذه الورقة لاكتشافه، ومساءلته عبر قصة "النحلة نولة" من خلال البحث عن مفهوم البيئة والقيمة، وعما تجلى في القصة من قيم وفق سلم وايت *white*، ووفق ما يرتبط بواقع الطفل العربي وثقافته.

***كلمات مفتاحية***: موضوعة، البيئة، أدب الطفل، قصة الطفل، الطفلية، لينا الكيلاني.

**Abstract:**

Environment is an obsession in child literature, both poetry and prose, and in all literatures. This clearly appears in the Arabic literature that is aimed at children, and in the child writings of Lina Al-Kilani, in particular. This is what this paper seeks to discover and question through the story of 'The Bee Nola' by searching in it the concept of environment and value, and the values revealed in the story according to White's scale, and according to what is related to the reality of the Arab child and his culture.

***Keywords*:** subject; environment; children's literature; children's story; childishness; Lina Kilani.

**المؤلف المراسل: عزالدين جلاوجي**

**مقدمة:**

يتلقى الطفل في كل مراحله العمْرية تربيته الفنية الجمالية والفكرية من الكبار، عبر وسائط مختلفة يأتي الأدب على رأسها، وتحتل القصة الطفْلية في ذلك حيزا كبيرا، تبدأ مع حكايات أفراد الأسرة، فالرسوم المتحركة، إلى الكتاب المدرسي والخارجي، يقرأه عليه الكبار أو يقرأه الطفل مباشرة، وهو عبر ذلك يتلقى جميلة من الرسائل التي تتراكم في ذهنه لتشكل منه رجل الغد، فليس الإنسان في نهاية المطاف إلا جيشا كبيرا من النصوص تشع في أعماقه ودواخله فتضيئه وتدفئه وتشحنه بما تريد، وتوجهه حيث تريد، ولا ينشأ الاختلاف بين أبناء البشر إلا انطلاقا من اختلاف هذه النصوص، لدرجة أنه يمكن القول "إنما الأمم نصوص".

ولذا فقد أولى رجال التربية لمثل هذه النصوص القصصية أهمية بالغة، يقينا منهم أن لا يصلح رجل الأمة ما لم نصلح طفولته، ولا يثمر الدوح ما لم نعتن ببذره، وإذا كان الجانب الفني والجمالي هو من دعائم هذه النصوص القصصية شحذا للذوق وارتقاء بالخيال وصقلا للغة ونحتا للأسلوب وتوسعا في القاموس، فإن الجانب التربوي يعد ركيزة أساسية أيضا يقف مع الجانب الفني كفرسي رهان، وقد تشعب الأمر في ذلك تشعبا كبيرا تبعا لاختلاف مشارب الكتاب والأمصار والأزمان، ولسنا بصدد الإفاضة في ذلك، وإنما سنقتصر على جزئية، هي موضوعة البيئة في قصة "نخلة نولة" للكاتبة السورية لينا الكيلاني، محاولين الإجابة عن جملة من الأسئلة، منها: ما هي أهم قضايا البيئة الحاضرة في هذا النص، وكيف تجلت؟ وما هي أهم خصائص ومواصفات ذلك؟ وإلى أي حد يمكن أن يحقق هذا النص هدفه في بناء وعي الطفل؟

غير أن كل الأمر يُلزمنا بتحديد بعض المفاهيم ليسير المقال على هدى ذلك، ولا أقصد إلا مفاهيم البيئة والقيم بالأساس.

## البيئة في اللغة والاصطلاح:

البيئة المنزل والحال، ويقال بيئة طبيعية وبيئة اجتماعية وبيئة سياسية، المباءة: المنزل[1]، وتبوأ المكان وبه نزله وأقام به[2] وبذات المعنى ظهر في القرآن الكريم، ومن مثل ذلك ما ورد في سورة يوسف ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ سورة يوسف الآية 21، أي يتخذ منها منزلا حيث يشاء، ومثله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ سورة يونس الآية 87، أي اتخذا لقومكما منازل، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ سورة العنكبوت الآية 58، وقوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ سورة الحج الآية 26، و﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ، وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا، فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ سورة الأعراف الآية 74، وكلها بمعنى أنزلهم منازل.

والمنزل هنا ليس بمفهوم البيت، بل بمفهوم المكان الذي ينزل فيه المرء ويقيم، فيشمل البيت وكل الحيز الذي يحيط به حيث يستقر الإنسان، وحتما يمتد الأمر لكل مشمولات هذا المكان، ومنها جاءت كلمة بيئة، التي تعني "الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر"[3] بل و" بما يضم من ظواهر طبيعية وعناصر وكائنات حية يتأثر بها ويؤثر فيها"[4].

مما تقدم يمكن أن نستشف أن البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان مؤثرا فيه ومتأثر به.

وقد أولى الإنسان البيئة عنايته القصوى منذ الأزل، وصلت أحيانا إلى حد التقديس، فكانت مصدرا لاعتقاداته وأساطيره وخرافاته، وحازت على أهمية كبيرة حتى في الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم، إذ نقرأ في سورة الأعراف "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

إِصْلَاحِهَا" (الآية 56)، وفي سورة البقرة نقرأ، "كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (الآية 60)، وكلما تقدمت معارف الإنسان تأكدت مكانة البيئة وقيمتها فسنت القوانين لحمايتها، وارتفعت الأصوات معترضة كل الأيادي الآثمة التي تمتد إليها بالفساد والتشويه والإبادة، لما يلحق الإنسان جراء ذلك من مصائب، وبسط فيها العلماء بحوثهم المتشعبة والمتنوعة فلم يكادوا يغادرون فيها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها.

ولم يتأخر أدب الأطفال عموما والقصة على الخصوص عن ذلك، بل نكاد نزعم انطلاقا من التعريفات السابقة أن كل قصة طفلية هي قصة بيئية بالأساس، وأن البيئة هي الحاضر الأكبر في القصة الطفلية مهما كان مستوى الحضور ونوعه.

## القيم في اللغة والاصطلاح:

القيمة من الفعل قام:... جمعها قيّم، وهو الثمن الذي يعادل المتاع[5]، والقيمة من الفعل قيَّم الشيء تقييما: قدر قيمته، وهي "أي قيَّمَ" من الألفاظ التي أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة[6]، فأجاز أن نقول قيّم تقييما بمعنى قدّر القيمة، وهذه الإجازة من باب اشتقاق الفعل من الاسم الجامد: القيمة، وقد قال بهذا الاشتقاق بعض النحاة، ومنهم الزجاج[7]، مما يعني أن فعل قيّم محدث في كلام العرب، وفي تصوري فإن الدلالة قد انتقلت من المعنى المادي إلى المعنى المجازي، فانصرفت القيمة من مجال المقابل المادي كالنقود مثلا إلى مجال المعنويات كالأخلاق والعلم والثقافة والإنسانية، فقلنا قيمة أخلاقية، وقيمة إنسانية، وهكذا مما صار متداولا في أيامنا هذه.

أما اصطلاحا فإن القيم "هي مجموعة من المعتقدات والمبادئ الكامنة لدى الفرد والتي تعمل على توجيه سلوكه وضبطه، وتنظيم علاقاته في المجتمع"[8]، وتتصف هذه القيم بجملة من المقاييس، منها أنها تتصل بالفرد في إطار المجتمع، لتصير بالنسبة إليه ناموسا يوجهه في علاقته بأفراد مجتمعه، وبالتالي فإنها تتصف بالإلزام حيث لا يمكن الخروج عليها،

والعمومية حيث يمتد تأثيرها لكافة أفراد المجتمع، فتحقق بذلك ضبط سلوك الجميع في علاقاتهم ببعضهم وبالحياة من حولهم، مما يحقق لهم اللحمة والترابط والطمأنينة.

وقد أولى علماء الاجتماع والتربية خاصة أهمية كبرى لهذا الجانب، وعملوا على اكتشافه وتصنيفه والتنظير له، وسنرتضي في دراستنا هذه تصنيف وايت (white)، الذي قسم فيه القيم إلى ثماني فئات، وربطه بعالم الطفولة.

وبعد هذا البسط الوجيز في المفاهيم، لنا أن نسأل عن مدى حضور البيئة في قصة الطفل، وشكل تجليها، ومقصديتها، وعلاقتها بالقيم؟

وهو ما تسعى هذه المقالة إلى الإجابة عنه.

## حضور موضوعة البيئة في كتابات لينا الكيلاني الطفيلة:

تقف لينا الكيلاني (1954-؟) في طليعة الأدباء العرب المهتمين بعالم الطفولة، غزارة وتنوعا وتميزا، حيث قدمت لحد الآن ما يقارب المئة والخمسين مجموعة قصصية ورواية ومسرحية للأطفال خاصة ولليافعين والشباب أيضا، إضافة إلى الأفلام والمسلسلات، والعديد من الكتب البحثية في عالم الطفولة أهمها "جماليات البيئة وطرق الحفاظ عليها، اليونيسف، 1994"، ولها حضور قوي في المشهد العربي والعالمي من خلال الفعاليات الثقافية الطفلية، مما يجعلها صاحبة مشروع كامل في أدب الطفل يعانق المشاريع الكبرى في عالمنا العربي، ابتداء من الرواد الأوائل وعلى رأسهم كامل الكيلاني وشوقي، إلى أعلامه اليوم في المشرق والمغرب.

والمتفحص لإنتاج المبدعة يلاحظ بوضوح حضور البيئة، بل وسيطرتها على كل الموضوعات الأخرى، وسنتابع ذلك عموديا من خلال عتبة عناوين كتبها، ثم أفقيا من خلال نموذج اخترناه للدراسة.

### تيمة البيئة في العتبة الكبرى:

أحصيت في 135 عنوانا –وهي مجموع ما أنتجته لينا الكيلاني في كل الأجناس الإبداعية– ما يقرب من 170 اسما تجلت البيئة في أكثر من 60 كلمة، مما يعني أن البيئة تشكل ثلث خطاب العنوان، ولا تأتي بقية الكلمات في عمومها إلا صفة أو مضافا، مثل "الجزيرة السعيدة، السمكة المغرورة، القطة مياو، الغزالة ريم، الأفعى سامو، الديك كوكو، الغراب عاق، الأرنب بيبو، وغابة الأسرار، مغارة الكنز،..." فإذا اعتبرنا أن هذه الكلمات أيضا هي من لحمة البيئة فإنها بذلك أي البيئة تتسيد على عتبة العنوان، وتصير هاجسا قويا بالنسبة للمبدعة، تسعى أن تنطلق منها لتبلغ رسالتها الجمالية والتربوية لعالم الطفولة، وما يحقق ذلك هو قيمة العنوان بالنسبة للمتلقي/ الطفل، إذ هو أول ما يواجهه، يمسك بتلابيبه رغما عنه ليجره إلى عمق النص، وعادة ما يكون بشكل مختلف عن المتن في سماكته ونوعية خطه وارتباطه بالصورة الأم، فيحقق بذلك الإغراء، ويكون المفتاح السحري لاقتحام عوالم النص.

يمكن تقسيم الألفاظ البيئية إلى حقلين، حقل الحيوانات وحقل الطبيعة، يسيطر على الحقل الأول أسماء الطيور باثنتي عشرة مرة، منها "العصافير، عصفورة، الطائر، الديك، البطة، الغراب، الببغاء، الطاوس"، وهي إما أسماء لجنس الطير، أو أسماء لأسماء طيور معروفة، وكان يمكن للكاتبة أن تعمد لتحديد أسماء العصافير من جهة، واللجوء إلى أنواع غير معروفة في قاموس الطفل إثراء له، كالشحرور، والكروان، والعندليب، والأمر ذاته بالنسبة لأسماء الحيوانات الأخرى، ومنا "كلب، قطة، سمكة، ضفدع، أفعى"، مما يضيع معه الوظيفة التعليمية والإغرائية لأدب الطفل، بل وكل ألفاظ الطبيعة الأخرى، "النجم، السماء، النور، الماء، الأزهار، غابة، جزيرة،..."

تحقق الكاتبة على مستوى العناوين جملة من الوظائف أبرزها الوظيفة التعليمية، بطريق التلميح غالبا، ففي "العصافير لا تحب الزجاج" دعوة لرفض حبس الطيور في

الأقفاص، وفي "النملة تنال الجائزة" تحفيز على العمل والجد الموصل للفوز والاعتراف، أما في عناوين "القطة مياو، والغراب غاق، الفراشة رفرف، الأفعى سامو، الغزالة ريم" ففيها ربط لهذا الحيوان بصوته، أو طريقة حركته، أو خطورته، أو حتى مرادف اسمه، وكل ذلك إصرار من الكاتبة على تقديم الوظيفة التعليمية للقصة.

ورغم الكم الكبير من القصص التي دبجتها الكاتبة، ورغم أن جل عناوينها ارتبطت بالبيئة، إلا أن اقتصارها على جانب معين من ذلك "الحيوان والطبيعة" جعل مشروعها قاصرا إلى حد كبير، وبيئة الطفل أكبر من أن تحصر في زاوية واحدة أو زاويتين، خاصة أن محيط الطفل اليوم انفتح على ما لا نهاية من البيئات "الفضاء، التلوث، الالكترونيات، و...."

فكيف كان حضور عالم البيئة في متن النص الذي اخترناه للدراسة، وهو "النحلة نولة"؟ وماهي القيم التي تجلت داخله؟

## تيمة البيئة في المتن، التجلي والقيم:

صدرت "النحلة نولة" سنة 2014 عن الهيئة العامة السورية للكتاب، التابعة لوزارة الثقافة السورية، في 82 صفحة، يحتل نص القصة 66 صفحة، والبقية خصصت للمقدمة وللرسوم، وغير ذلك، وخشية من سطوة الإطالة على الطفل قسمت الكاتبة نصها إلى عشرة أقسام، وضعت لكل قسم عنوانا، هي: غذاء أو عطاء، عتب في كروم العنب، نولة التائهة في الخريف، نولة في خلية غريبة، صداقة غير متوقعة، حكايات وأسرار، عقوبة أم انتقام، العاصفة وقد كانت جارفة، تعاون وتضامن، مهرجان الربيع.

والملاحظ أن ألفاظ البيئة قد تواترت في النص بما يقرب السُّبع، أي في حدود الألف كلمة، مما يجعل البيئة هي النقطة البؤرة، أو على حد تعبير يوسف وغليسي الموضوع المهيمن، ومركز الثقل الموضوعاتي[9]، إن تردد مفردات مجموعة لغوية بكثرة يدل حتما على

أهمية متميزة بالمقابلة مع الموضوعات الأخرى[10].

ويمكن تمثيل هذه الكلمات المتداولة بقوة بالدوائر المنداحة على صفحة الماء، ما إن ترتطم الكلمة الأم، حتى تلحق بها عشرات الكلمات الأخرى، رد فعل قوي لها، والتي عادة ما تكون أقل إضاءة منها كلما كانت أبعد، حتى ولو كانت أكثر عددا، وأكبر حجما.

تنطلق الكاتبة من لفظة النحلة كبؤرة مركزية، ولذا نراها تختارها أول كلمة لها في العنوان، لتكون سيدة النص كله، ثم تحيط هذه الكلمة المركز والهاجس بما هو أقرب منها كأنواع النحل وطبقاته ووظائفه وتناسله، ثم في علاقته بالبيئة المحيطة به، بدء من الإنسان، فالكائنات الحية المختلفة، فظواهر الطبيعة، وكهذا تتدرج الكاتبة شيئا فشيئا عبر عوالم حكائية تخييلية في تحقيق جملة كبيرة من الأهداف تقصد بها قاموس الطفل وخياله ومعارفه، محاولة الابتعاد عن المباشرة والتقريرية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، دون أن توغل في التخييل حد العجائبية المرفوضة منطقيا على اعتبار أن ذلك يغالط الطفل ويشوش عليه، وهو ما أشارت إليه الكاتبة في مقدمة هذه المجموعة، وهي تدعو إلى ما أسمته بالأنسنة الجديدة، "آمل أن أكتب قصصا للأطفال أحاول أن أراعي فيها الأنسنة بمفهوم جديد لا يخرج به الكاتب عن خصائص الحيوان، أو الكائن الذي يتحدث عنه، بل يظل يدور في عالمه"[11].

هذا الحضور القوي لعوالم البيئة في كتابات لينا الكيلاني، دفع بنا إلى التساؤل عن الأهداف المرجوة من وراء ذلك؟ وللإجابة ارتأينا الانضباط بجملة القيم التي حددها وايت white، وهي التالي:

1. مجموعة القيم الاجتماعية
2. مجموعة القيم الأخلاقية
3. مجموعة القيم القومية/ الوطنية

4. مجموعة القيم الجسمانية
5. مجموعة القيم الترويحية
6. مجموعة القيم تكامل الشخصية
7. مجموعة القيم المعرفية/ الثقافية
8. مجموعة القيم العملية الاقتصادية

وقد تجلت هذه القيم كلها في هذه القصة، على اختلاف أشكال الحضور ومستواه، على اعتبار أن القيم هي "دوافع محركة لسلوك الفرد ومحددة له، ولها أثر فاعل في تكامل شخصيته"[12].

ومن أمثلة ذلك من النص ما يلي:

**مجموعة القيم الاجتماعية:** "أم تطيرُ إليهن وتتشاورُ معهن حول الحادثِ للخروجِ من المأزقِ؟" ص13

**مجموعة القيم الأخلاقية:** "ثم إنني لم أحسبْ حساباً لتلك النحلاتِ الصغيراتِ وكن محتاجاتٍ للغذاءِ فاستوليتُ على حصتهن" ص10

**مجموعة القيم القومية/ الوطنية:** "وأنا أستطيعُ أن أساعدَك ولو بدونِ لقب.. فأكونُ نائبةً لكِ مثلاً.. أو نتقاسمُ السلطةَ.. أو أي حلٍ تريدين ..ما رأيُك؟ ص39

**مجموعة القيم الجسمانية:** " فتشت النحلةُ نولة في كل أنحاءِ الخليةِ فلم تجد شيئاً من العسل تأكلُه" ص9

**مجموعة القيم الترويحية:** "ضحكت النحلاتُ طويلاً من هذه القصةِ حتى انقلبن على ظهورِهن" ص45

**مجموعة القيم تكامل الشخصية:** "ثم إلى كفاحِنا وصبرِنا على استمرارِ سلالتِنا، والنحلُ موجودٌ منذ أولِ الزمانِ.. وسوف يظلُ إلى آخرِ الزمانِ" ص75

**مجموعة القيم العملية الاقتصادية:** "ومادمتن نحلاتٍ عاملاتٍ نشيطاتٍ فسوف

تصنعن قرصاً جديداً بأقلِ مدةٍ ممكنةٍ" ص17

ولكن تركيزنا سيكون أكثر على القيم المعرفية الثقافية، بسبب هيمنتها المطلقة على باقي القيم، فقد حرصت الكاتبة عليها كلما سنحت لها الفرصة، تتجلى أحيانا بشكل مباشر واضح، وتختفي في أحايين كثيرة، تصل إلى الطفل وترسخ في ذهنه دون أن يحس بسطوتها التعليمية.

لقد استطعنا أن نجلي أكثر من مئة قيمة "102"، استحوذت القيم المعرفية/ الثقافية على عرش مجموع القيم بسبع وأربعين مرة "47"، أي النصف تقريبا، لتتوزع بقية القيم السبع النصفَ المتبقي "54"، علما أن بعض القيم أحيانا يمكن أن تلتقي في عبارة واحدة.

### القيم المعرفية لاكتشاف البيئة:

تحوّل الكاتبة لينا الكيلاني بيئة النحل إلى مدرسة كبيرة، تسعى من خلالها إلى تقديم دروس عن هذا العالم، إذ يتعلم الطفل مثلا مصطلحات من مثل، النحلة العاملة، النحل الذكر "اليعسوب"، الملكة، محاولة الكشف عن دور كل من عن الأقسام الثلاثة، لتتوسع بعد ذلك إلى أشكال النحل، العادي والمتوحش، "فوجئت بسرب من نحل مختلف عنها يسمونه بالنحل المتوحش" ص28، الأول يعيش في ظل الإنسان وعنايته، والثاني يتخذ جذوع الأشجار والجبال مسكنا له، "عندما لمحت ما يشبه خلية في جذع شجرة ضخمة وقد حفرت بعناية شديدة لا تصلح إلا للنحل" ص27، إلى الحديث عن مسكن النحل الذي تشير أنه يسمى القرص، به غرف سداسية الشكل، "في صنع القرص بأشكاله السداسية الدقيقة" ص12، مع ضبط اسم تلك الفتحات "النخاريب أوسع" ص28، إلى أقسام لهذه الفتحات "نخاريبَ لغذائنا.. وأخرى نضعُ فيها البيض والصغارَ.. وثالثةٌ هي مدخراتُنا" ص64، ثم تنتقل إلى طريقة دفاع النحل عن نفسه وما يهدده جراء ذلك "ولا يستطيع أحد أن يخربها لأننا نهجم عليه دفعة واحدة ونؤذيه بسمومنا وقد نسبب له الموت

أحيانا" ص29، "وأدخلت إبرتها كلها في جلده الطري، ولما أرادت أن تطير وقعت ميتة لفقدانها الإبرة ولمتزق جزء من جسمها" ص46، إلى علاقتها بالبيئة الخارجية، ودورها الفعال في خدمة الحياة واستمرارها من خلال عملية تلقيح الأزهار، "تعالَين أيتها النحلاتُ المباركاتُ فنحن بحاجةٍ إليكن لكي تحملن حبوبَ اللقاحِ من شجرةٍ إلى أخرى فليست كلُ أزهارِنا قابلةً لأن تكون ثماراً" ص70.

وتتوسع الكاتبة أكثر في الإشارة إلى البيئة التي تحيط بعالم النحل، وتقدم له خدمات مختلفة، وعلى رأس ذلك الإنسان "النحال"، حين تصف معداته النحلية، قائلة: "حتى لمحت رجلا يرتدي ثيابا فضية داكنة تستر جسمه كله ويضع على رأسه خوذة لامعة، وفوق وجهه قناع لا تظهر منه إلا العينان، وفي يده شبكة معدنية مدورة تحملها عصا طويلة" ص32، وحين تصف دوره في حماية النحل من خلال بناء البيوت له، وتوفير القرص البلاستيكي، وتوفير الأطعمة المناسبة خاصة وقت الشتاء حين ينعدم الغذاء ويصبح خروج النحل مستحيلا، "بل سنضعُ لكم فيها بعَض الموادِ حلوة المذاقِ لتتغذوا عليها حتي يأتيَ الربيعُ" ص64، "سنزود النحل بما يسد حاجته حتى نهاية فصل الشتاء" ص60.

وهكذا تستمر الكاتبة في تقديم المعلومة ما وجدت إلى ذلك سبيلا، حريصة على دقتها وعلميتها غالبا، سعيا منها لتحقيق قيمة المعرفة وفق تصنيف "وايت" الذي قسم في تصنيفه مجموعة القيم المعرفية الثقافية إلى: المعرفة الثقافة الذكاء.

### القيم الثقافية لحماية البيئة:

لا تكتفي الكاتبة بجملة القيم المعرفية العلمية والتي كنا قد أشرنا إليها سابقا، والتي تمتطيها الكاتبة لمهمة التعليم، فتكون القصة بذلك وسيلة للاكتشاف البيئة ومعرفتها وحمايتها وتسخيرها، ولكنها تعمد أيضا إلى القيم الثقافية، تأتي بها غالبا بشكل مباشر، وتأخذ كثيرا منها من الثقافة الدينية السائدة في موروثنا الديني، وفي القرآن الكريم على

وجه التحديد، خاصة بشأن وحي الله للنحل بقولها: "لكن نظامنا الذي منحنا إياه الله تعالى يجب ألا يخترقه أحد" ص11، وبقولها: "أنصتت نولة لكلِ ما قالَه النحّالُ الشهمُ، ولو أنها بغريزتها تدركُ هذا كلَّه وكأنه وحيٌ من الله تعالى وقد غُرس في النحلِ كلُ ما يقومُ به بدقةٍ ومهارةٍ لا متناهيتين" ص60، وهو بالضبط ما ورد في الآية 68 من سورة النحل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.

كما أنها تلجأ إلى الحكمة العامة التي أفرزتها تجارب الإنسان، تقدمها بشكل مباشر واضح، مثل قولها حثا على طلب العلم وطرق تحصيله: "والعلم يا بناتي يا صغيراتي ليس في أن نطلع بأنفسنا ونجرب، بل في أن نستفيد ونفيد من كل مخزون سلالاتنا وعائلاتنا النحلية على مر الزمن" ص42، وفي التنبيه لوجوب استفادة الصغار من تجارب الكبار تقول: "لن نستغني جميعا عن توجيهاتك ونصائحك بعد خبرتك الطويلة هذه، فالصغار جميعا بحاجة إلى كبارهم سنا ومعرفة وعلما" ص40، وفي حب الوطن والدفاع عنه بكل ما نملك تؤكد: "وإلا فشرف للمخلوق أن يدافع عن بيته ووطنه وألا يتركه ولو تعرض للموت" ص58، وفي وجوب التعاون بين كل الكائنات، دفعا للأخطار المحدقة بهم تصرح: "ومع هذا فإن علينا أن نقفَ في وجهِ الكوارثِ الطبيعيةِ وليساعدْ المخلوقُ منا الآخرَ.. بشراً كان أم حيواناً أو حتى حشرةً.. هذه قوانينُ الطبيعةِ وتجبُ مراعاتُها" ص60، موجهة النصيحة للأطفال ليحبوا البيئة وليحافظوا عليها، بقولها: "حياةَ المخلوقِ لا تُقاس بعددِ أيامِه أو بالسنينَ، بل بما يقدُّمهُ لأمهِ الطبيعةِ من طاعةٍ.. وللجميعِ من فائدةٍ وخاصةً البشرَ.. هؤلاءِ الذين ميّزهم الله تعالى علينا وجعلنا مسخَّرين لخدمتِهم. صحيحٌ أن بين البشرِ مَنْ يحبون الأذى، أو يمارسونَ الشرَ لكن ما يقدمونه لنا من حفظِ لسلالاتنا أمرٌ عظيمٌ وخطيرٌ.. وإلا كنا قد انقرضنا وزال أثرُنا من الوجودِ" ص75.

هذه جملة من الحكم التي تنطلق فيها الكاتبة من البيئة لتعود بالطفل إلى أحضانها، على اعتبار أن البيئة هي مدرستنا الكبرى، رغم أن هذه الحِكم في عمومها سافرة المحيا،

وضاحة الجبين، تتجه إلى الطفل مباشرة في غير ما التواء ولا مخاتلة.

وإذا حضرت القيم المعرفية والقيم الثقافية بكل هذا الزخم، فإن قيمة الذكاء انعدمت تماما أو كادت، القيم التي تثير شهية الطفل للسؤال، وتجعله وجها لوجه مع مشكلات يسعى للبحث فيها واكتشافها وحلها، ولعل كل ذلك من آثار التعليم بالتلقين الذي نشأت عليها الكاتبة وتربت في أحضانه، ولم نكن نحن أيضا بمنأى عنه، رسخته المدرسة في كل أطوارها وحتى الجامعة، ورسخه التعليم الديني من خلال المسجد خاصة، والذي يقف فيه رجل الدين مرشدا وموجها وناصحا، منذرا ومبشرا، وفي أقصى الاحتمالات يمكن نسبة النص إلى التدريس بالأهداف، مما يحتم على كاتب القصة الطفلية أن يتزود بعلوم التربية وعلم النفس وغيرها من المعارف الإنسانية المعاصرة، والتي صارت تجنح للتدريس بالكفاءات، ومنه فعلى القصة الطفلية أن تنبني على إثارة الأسئلة والحيرة، ووضع الطفل مباشرة أمام مشاكل الحياة، ثم دفعه لحلها، وتوليد أسئلة أخرى عنها، ليكون مشاركا فاعلا، لا متفرجا ومستقبلا ومستهلكا.

وبدل أن تتسلل الكاتبة إلى ذهن الطفل لتحذره من مخاطر إهمال البيئة والإفساد فيها، فقد همست فيه بجمال البيئة وعبقريتها وفضلها ليحبها ويعشقها ويتعلق بها ويعرف قيمتها وفضلها عليه، فيحافظ عليها ويدافع عنها ضد كل ما يتهددها من أخطار.

وإذا كانت الكاتب قد اختارت في هذه القصة عالم النحل كجزء يسير من عالم البيئة اللامتناهي، فإنها تنتقل بالطفل في أعمالها الأخرى أيضا محاولة الإحاطة بعناصر كثيرة في هذه البيئة.

## الخاتمة

يمكن أن نرسو على جملة من النتائج أهمها:

- شكلت البيئة حضورا قويا في كتابات الأديبة الكبيرة "لينا الكيلاني"، وحضرت

بقوة انطلاقا من عتبة العنوان.

-انحصر حضور البيئة في كتابات لينا الكيلاني في الطبيعة/ الحيوانات بالأساس، أو كاد، ومن ذلك تنطلق إلى آفاق أخرى من البيئة، في حين أن البيئة وما يتعاورها من مشاكل أكبر من الطبيعة، إنها كل ما يحيط بنا مؤثرين فيه ومتأثرين به.

-اهتمت لينا الكيلاني بالجانب الإيجابي، جانب البناء في البيئة، لتقدم فضلها وأهميتها في حياة الإنسان، ومن ثم يمكن للطفل أن ينتبه إلى الجانب السلبي، جانب الهدم في البيئة، إذ يكفي أن نقول للطفل: هذا حسن، وهذا خير ومفيد، وهذا هو الصواب. ليكشف أن ما يخالفه سيء وشر ومضر وخطأ.

-سعت لينا الكيلاني إلى تحقيق كل القيم التي يمكن أن تتجلى في القصة الطفلية، ولكن تركيزها كان قويا على القيم المعرفية والثقافية، وهو ما اتصفت به القصة الطفلية في الأدب العربي عموما، إيمانا من أن الأديب مازال يقوم بدور المربي والمعلم المرشد، في حين نلاحظ ندرة قيم الذكاء، التي تجعل الطفل وجها لوجه أمام مشكلات البيئة.

-راحت لينا الكيلاني في ترسيخ القيم المعرفية والثقافية تغرف من بيئة الطفل وانتمائه الحضاري العربي الإسلامي، لما لذلك من أهيمة قصوى في ترسيخ هذه القيم من جهة، كون الطفل ينفعل مع ما هو أقرب إلى ثقافته ومرجعياته من جهة، وكون التربية يجب أن تسعى لبناء جيل منسجم مع هذه القيم ومدافع عنها.

-اعتمدت لينا الكيلاني التعليم عن طريق التلقين، فجاءت كثير من القيم مباشرة واضحة، وهي ميزة القصة الطفلية في عموم الوطن العربي، التي تنطلق من طرق التعليم القديمة، التعليم بالتلقين، والتعليم بالأهداف.

أكدت لينا الكيلاني من خلال جل أعمالها، ومنها العمل المدروس "النحلة نولة" أن البيئة هي المدرسة الكبرى للطفل، وعلى أدب الطفل أن يحسن توجيه الطفل إلى دروسها وحكمتها وعبقريتها.

## الهوامش والإحالات:

[1]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ط 2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ص 75.

[2]- المرجع السابق، ص 75.

[3]- رشيد الحمد محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، الكويت، 1979، ص 25.

[4]- حسن أحمد شحاتة، البيئة والتلوث والمواجهة، ط 2، كلية العلوم جامعة القاهرة، 1999، ص 7.

[5]- دار المشرق، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، لبنان، ط 30، 1988، ص 663.

[6]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 2، ص 771.

[7]- إميل يعقوب، معجم الخطأ والصواب في اللغة، دار العلم للملايين، ص 224.

[8]- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، ط 1، الأردن، دار الشروق، 2006، ص 23.

[9]- يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري كلام المنهج فعل الكلام، دار ريحانة، الجزائر، 2007، ص 51.

[10]- عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1972، ص 33.

[11]- لينا الكيلاني، "النحلة نولة" سنة 2014 عن الهيئة العامة السورية للكتاب، التابعة لوزارة الثقافة السورية، 2014، دمشق سوريا، ص 33.

[12]- روحي الفيصل، قضايا أدب الطفل، وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2011، ص 83.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ط 2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر.
2. إميل يعقوب، معجم الخطأ والصواب في اللغة، ط 1، دار العلم للملايين، 1983
3. حسن أحمد شحاتة، البيئة والتلوث والمواجهة، ط 2، كلية العلوم جامعة القاهرة، 1999
4. دار المشرق، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، لبنان، ط 30، 1988
5. عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1972

6. عامر طراف، التلوث البيئي والعلاقات الدولية، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008.

7. رشيد الحمد محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، الكويت، 1979

8. روحي الفيصل، قضايا أدب الطفل، وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2011.

9. لينا الكيلاني، "النحلة نولة" سنة 2014 عن الهيئة العامة السورية للكتاب، التابعة لوزارة الثقافة السورية، 2014، دمشق سوريا.

10. ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، ط 1، الأردن، دار الشروق، 2006

11. يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري كلام المنهج فعل الكلام، دار ريحانة، الجزائر، 2007.